



جهود العلماء الأفارقة في خدمة المذهب المالكي أحمد بابا التنبكتي

أنموذجا

د. عبد الرحمن محمد ميكا، الجامعة الإسلامية- النيجر.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحابه أجمعين.

أما بعد، فهذه المقالة عن إحدى الشخصيات العلمية الفقهية التي شاركت بجهودها في مختلف ميادين المعرفة الإسلامية، وكان فضلها عظيما في الربط بين مشرق العالم الإسلامي ومغربيه وهي شخصية العلامة الكبير أحمد بابا التنبكتي الذي يعتبر من أهم الأعلام الأفارقة الذين عاشوا في القرن العاشر والحادي عشر الهجريين والذين قدموا للمذهب المالكي خدمات جليلة؛ ولهذا رأينا أن نشارك في هذه المجلة- التي خصص العدد الأول منها لجهود العلماء الأفارقة في خدمة الثوابت الدينية المشتركة- بهذا البحث المتواضع بعنوان: جهود العلماء الأفارقة في خدمة المذهب المالكي: أحمد بابا التنبكتي أنموذجا، وسنتناول هذا الموضوع من خلال مبحثين وخاتمة. في المبحث الأول سنتحدث بإيجاز عن شخصية أحمد بابا التنبكتي ومسيرته العلمية، وفي المبحث الثاني سنبرز صورا من جهوده في خدمة المذهب المالكي وفي الخاتمة سنبين أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الجولة السريعة، إذاً فمن هو أحمد بابا التنبكتي؟ وما جهوده في خدمة المذهب المالكي؟

المبحث الأول: شخصية أحمد بابا التنبكتي ومسيرته العلمية

سنحاول في هذا المبحث أن نعطي نبذة مختصرة عن حياة أحمد بابا الشخصية ومسيرته العلمية ووفاته، وثناء العلماء عليه.

المطلب الأول: اسمه ونسبه وولادته ونشأته

أولاً: اسمه ومولده



هو العلامة أحمد بن الحاج أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى بن كدالة¹ الصنهاجي المسوفي الماسني التكروري التنبكتي السوداني، المالكي، المشهور بـ «باب» التنبكتي والسوداني، ويكنى بأبي العباس. اشتهر بالتنبكتي نسبة إلى المدينة التي ولد وتربى فيها وترعرع. أما مولده، فكان حسبما وجد بخط والده: «ليلة الأحد حادي والعشرين من ذي الحجة ختام عام ثلاثة وستين وتسعمائة (هـ)...»² 963 هـ بمدينة تنبكت.

ثانيا: انتسابه إلى أسرة أقيت

ينتسب أحمد بابا إلى أسرة أقيت المشهورة بالعلم والصلاح في السودان الغربي عامة وفي تنبكت خاصة. وأفراد أسرته «كان بنو أقيت التكروريون من أهل مدينة تنبكتو، وممن لهم الواجهة الكبيرة والرياسة الشهيرة ببلاد السودان دينا ودنيا، بحيث تعددت فيهم العلماء والأئمة والقضاة، وتوارثوا رياسة العلم مدة طويلة تقرب من مائتي سنة، وكانوا من أهل اليسار والسؤدد...»³ ويذهب بعض المؤرخين إلى أن هذه الأسرة توارثت العلم والرياسة ما يقرب من خمسمائة سنة.⁴

ثالثا: نشأته وسيرته:

إذا قمنا بجولة في المصادر والمراجع التي ترجمت لأحمد بابا التنبكتي نستطيع أن نرصد بعض ملامح سيرته ونشأته. فنقول:

1- مراجع: كفاية المحتاج: أحمد بابا: تحقيق محمد مطيع، ص: 461، فتح الشكوك للبرتلي ص: 31/ نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ج 1 ص: 271/ نيل الانبهاج منشورات كلية

الدعوة بطرابلس ط 1 ص: 11/ خلاصة الأثر ج 1، ص: 170 / الإعلام بمن حل مراكز وأغمات من الإعلام ج 11، ص: 302 / مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي، جامعة أم القرى

مكة، العدد الرابع عام 1981/1401 ص: 641.

2- كفاية المحتاج: تحقيق مطيع ص: 164.

3- الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ج 5 ص 125

4- نشر المثاني، القادري طبعة 1977 الرباط، ج 1 ص: 275.



إن أحمد بابا تمبكتي المولد والمنشأ، وترعرع في جو أسرة إسلامية تسودها الحشمة والأدب، والمحافظة على الشعائر الدينية، وجل أفرادها علماء- وفي بيئة مدينة تنبكت التي كانت مهد العلم ومبعث النور ومنهل العرفان في السودان الغربي.

وفي رحاب جامعات هذه المدينة المباركة التي «ما دنسها عبادة الأوثان ولا سجد على أديمها قط لغير الرحمن¹» تفتح عقله وذهنه على آفاق واسعة من الثقافة الإسلامية، واطلع على عدد وافر من الكتب والمصادر الهامة...

وزبدة القول: إن أحمد بابا نشأ نشأة صالحة، ولقي عناية كبيرة في تربيته وتعليمه من طرف أسرته التي أسبغت عليه رعايتها وحبها وعطفها وحنانها، لجدته واجتهاده وذكائه؛ فأصبح شخصية عبقرية فذة ظهرت عليها معالم النبوغ في وقت مبكر.

المطلب الثاني: معالم في مسيرته العلمية.

لقد بينا فيما سبق مولد أحمد بابا ونشأته وانتماءه إلى أسرة أقيت المشهورة، وسنبين في هذا المطلب بعض المعالم في مسيرته العلمية من خلال بعض ما يقول هو عن نفسه:

يقول أحمد بابا عن مسيرته العلمية:

«نشأت في طلب العلم فحفظت بعض الأمهات وقرأت النحو على عمي أبي بكر الشيخ الصالح، والتفسير والحديث والفقهاء والأصول والعربية والبيان والتصوف وغيرها على شيخنا العلامة بغيغ، ولازمته أكثر من عشر سنين فختمت عليه مختصر خليل بقرائتي وقراءة غيري عليه نحو ثمان مرات.

وختمت عليه الموطأ قراءة تفهم، وتسهيل ابن مالك قراءة بحث وتدقيق، مدة ثلاث سنوات، وأصول السبكي بشرح المحلى ثلاث مرات قراءة تحقيق، وألفية العراقي بشرح مؤلفها، وتلخيص المفتاح بمختصر السعد مرتين، وصغرى السنوسي وشرح الجزائرية له، وحكم ابن عطاء الله، مع شرح زروق لها، ونظم أبي

1- تاريخ السودان للسعدي، ص: 20



مقرع، والهاشمية في التنجيم، مع شرحها ومقدمة التاجوري فيه، ورجز المغيلي في المنطق والخزرجية في العروض بشرح الشريف السبتي، وكثيرا من تحفة الحكام لابن عاصم مع شرحها لابنه، كلها بقراءتي. وقرأت عليه فرعي ابن الحاجب قراءة بحث جمعيه وحضرته في التوضيح كذلك لم يفتني منه إلا من الوديعة إلى والأقضية، وكثيرا من المنتقى للباجي، والمدونة بشرح أبي الحسن الزرويلي، وشفاء عياض. وقرأت عليه صحيح البخاري نحو النصف، وسمعتة بقراءته، وكذلك صحيح مسلم كله، ودولا من مدخل ابن الحاج ودروسا من الرسالة والألفية وغيرها.

وفسرت عليه القرآن العزيز إلى أثناء سورة الأعراف، وسمعت بلفظه جامع المعيار للونشريشي كاملا وهو في سفر كبير، ومواضيع أخرى منه.

وباحثته في المشكلات، وراجعتة في المهمات وأجازني بخطه جميع ما يجوز له وعنه، وأوقفته على بعض توالي في فسر به، وقرظ عليه بخطه بل كتب عني أشياء من أبحاثي وسمعتة يقول بعضها في درسه لإنصافه وتواضعه وقبوله الحق حيث تعين. «...»¹

هذا ما يتعلق بحديثه عن عمه وعن شيخه محمد بغيغ.

أما عن والده فقال: «... أخذت عن والدي الحديث سماعا والمنطق وقرأت عليه الرسالة تفقها، ومقامات الحريري على غيرهم واشتهرت بين الطلبة بالمهارة على كلل ومهل في المطلب. «...»²

ولا شك أن هذه النصوص تكشف لنا جانبا مهما عن تكوينه العلمي، وعن تنوع المصادر التي اعتمد عليها في تغذية فكره ونمو مواهبه.

أما عن جلوسه للتدريس وإقبال الطلبة عليه، لما كان في مراكش فقال: «... ولما خرجنا من المحنة طلبوا مني الإقراء فجلست بعد الإباية بجامع الشرفاء بمراكش من أنوه جوامعها، أقرئ مختصر خليل قراءة بحث وتدقيق، ونقل وتوجيه وكذا تسهيل ابن مالك وألفية العراقي، فختمت علي نحو عشر مرات، وتحفة

1- نيل الإبهاج ص: 602/ كفاية المحتاج، ص: 435-436، وتاريخ السودان للسعدي، ص: 45-46. فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، ص: 23.

2- كفاية المحتاج ص: 461/الإعلام بمن حل مراكش واغمات ص: 302-303.



الحكام لابن عاصم، وجمع الجوامع للسبكي، وحكم ابن عطاء الله، والجامع الصغير للجلال السيوطي قراءة تفهم مرارا والصحيحين سماعا علي وإسماعا مرارا ومختصرهما، وكذا الشفا والموطأ والمعجزات الكبرى للسيوطي، وشمائل الترمذي والاكتفاء لأبي الربيع الكلاعي وغيرها. وازدحم على الخلق وأعيان طلبتها ولازموني، بل قرأ علي قضاتها كقاضي الجماعة بفاس العلامة أبي القاسم بن أبي النعيم الغساني وهو كبير ينيف على الستين وكذا قاضي مكناسة... ومفتي مراكش الرجراحي وغيرهم، وأفتيت فيها لفظا وكتبا بحيث لا توجه فيها الفتوى غالبا إلا إلي، وعينت لها مرارا فابتهمت إلى الله تعالى أن يصرفها عني، واشتهر اسمي في البلاد من سوس الأقصى إلى بجاية والجزائر وغيرها، وقد قال لي بعض طلبة الجزائر وقد قدم علينا مراكش: لا نسمع في بلادنا إلا باسمك فقط...¹

هذا عن جانب تدريسه ونشاطاته العلمية في مدينة مراكش وما لاقاه من ترحيب عند علمائها وطلبها. ويقول عما ألفه من الكتب: «... وألفت عدة كتب تزيد على أربعين تأليفا ومن ذلك: شرحي على مختصر خليل من أول الزكاة إلى أثناء النكاح ممزوجا محررا، وحواشي على مواضع منه، والحاشية المسماة من الرب الجليل في مهمات تحرير خليل يكون في سفرين²، وفوائد النكاح على مختصر كتاب الوشاح للسيوطي وغيرها...»

أما عن حرصه على إكمال ما بدأه الأوائل والاستدراك عليهم ببعض ما فاتهم في مؤلفاتهم تكميلا للفائدة فيقول في مقدمة كتابه نيل الابتهاج الذي يعتبر تكميلا لكتاب الديباج لابن فرحون: «فما زالت نفسي تحدثني من قديم الزمان وفي كثير من ساعات الأوان باستدراكي عليه ببعض ما فاتته، أو جاء بعده من الأئمة الأعيان، فقيدت فيه بحسب الإمكان، وذلك حين كنت ببلدنا البعيدة عن نيل المقصد من ذلك لبعدها من مدن العلم وكتب هذا الشأن، فقصر بي الحال مع قلة الكتب هناك وعدم مساعدة الزمان حتى تفضل من له الفضل وأحسن إلي من له الطول سبحانه بوصولي إلى منبع العلم في الديار المغربية...»

1- كفاية المحتاج ص: 462 - 463 / فتح الشكور ص: 34 - 35.

2- ذكر هذه الكلمة في الكفاية في الكتاب الأول حيث قال: «... من أول الزكاة إلى أثناء النكاح في سفرين ممزوجا محررا» بينما في الاعلام وغيره، كلمة السفرين ورد بعد من الرب الجليل، وهذا أقرب إلى الصواب؛ لأن من الرب بدأ من الذكاة إلى آخر الكتاب أقرب أن يكون في سفرين من الشرح الذي بدأ من الزكاة إلى النكاح.

يراجع كفاية المحتاج، ص: 461 / الاعلام للمراكشي ص: 303 - 304



فرايت أسباب السعادة بها متيسرة وأزمة الأمانى فيها مبذولة غير متعسرة ونشدت الضالة، فرايتها أقرب إلي من ظلي، وظفرت بما يكمل مرادي، ونلت أمني، فبادرت حينئذ إلى كتب ذلك الذيل مستبشرا بالطول والنيل، وقلت لنفسي: يا سعد جدى قد ظفرت بمقصدي، وذلك لأمرين:

أحدهما: أن إكمال ما شرع فيه من الخير سنة مأثورة.

والثاني: وهو المقصد السنى إنى رأيت حضرة من سمو الآمال لسدة بابيه، وتسعى الخلق لخدمة ركابه، ملك المغربين بالأسل والنصال... فأردت أن أخدم خزانته الشريفة المشتملة على الطم والرم من كتب العلم، أهديته وإن كنت في صني كجالب تمر إلى هجر، أو قارض شعر لى آل مضر. «...»¹

على أن هذا النص يدل دلالة واضحة على مدى حرص أحمد بابا على تكميل ما بدأه الأسلاف تتيما للفائدة، واهتمامه بالعلم ونشره؛ ولذا قال عنه المراكشي في أعلامه: «كان رحمه الله دؤوبا على نشر العلم معنيا بالمطالعة حريصا على التأليف. «...»²

وزيدة القول: إن أحمد بابا التنيكي كان علامة مشاركا، درس في مدينة تنيكت ثم انتقل إلى مراكش إثر مشكلة بين الدولة الأسكية والدولة السعدية، ولما استقر بمراكش طاب مقامه بها فتردد على العلماء وتردد عليه العلماء، معلما ومجيذا، فأفاد واستفاد، وألف عشرات الكتب التي ما زالت مخطوطة في عدة خزائن مغربية كما سيأتي.

فالمغرب يحتضن تراثه الكبير الذي هو في الواقع تعبير عن مدى عمق الثقافة الإسلامية وتغلغلها في البلاد الإفريقية، ومدى أثرها في خلق كل ما من شأنه أن يحفظ كرامة الإنسان وحيته وطاقته الإبداعية³.

المطلب الثالث: ثناء العلماء عليه ووفاته:

1- احمد بابا التنيكي منشورات الإيسيسكو ص: 85 - 86.

2- الاعلام للمراكشي ص: 305.

3- مراجع: الدكتور عبد الهادي بو طالب مختارات من خطبه وكلماته، الطبعة الثانية 2010/1431 منشورات إيسيسكو، ص: 224.



كان أحمد بابا فقيها متضلعا، وعالي الكعب في الفقه المالكي، وعالما مشاركا في عدة فنون من العلوم، وموسوعة أحاطت بجل الكتب الرائجة في عصره، الأمر الذي جعل معاصريه يعترفون له بالفضل والمكانة العلمية.

1 - مكانته وثناء العلماء عليه:

حظي أحمد بابا بتقدير العلماء، الذين عاصروه ومن بعدهم؛ لغزارة علمه وتمكنه من الفقه المالكي، الذي أخلص له كل الإخلاص شرحا وتدریسا وإفتاء وتأليفا...

ولعل أحسن ما يجلي مكانته هذه، ثناء علماء عصره عليه، واعتماد الذين جاءوا بعده على مؤلفاته وأقواله.

ولندكر قليلا من عبارات العلماء الذين عاصروه أو قاربوه أو جاءوا بعده ممن أثنوا عليه:

- قال فيه تلميذه وصاحبه ابن يعقوب المراكشي: «كان أخونا أحمد بابا من أهل العلم والفهم والإدراك التام، الحسن، حسن التصريف، كامل الحظ من العلوم فقها وحديثا وعربية وأصولا وتاريخا، مليح الاهتداء لمقاصد الناس، ساهرا على التقييد والمطالعة، مطبوعا على التأليف ألف تأليف مفيدة جامعة، فيها أبحاث عقلية ونقلية... كان من أوعية العلم.»¹
- وقال عنه تلميذه وصاحبه الحاج أحمد التواتي: «عالم الدنيا ومعلمها، حامل لواء الأحاديث ومفهمها، رافع رواية مذهب الإمام مالك ومقدمها، العالم العلامة المقبول، الفاضل، الفهامة.»²
- أما أحمد المقرئ فقال عنه: «الشيخ المؤلف الكبير المصنف العلم، الطائر الصيت... له يد طولی في نوازل الفقه والتاريخ لا يجارى في ذلك وكذا في علوم الحديث مع المشاركة التامة في غيره.»³

1-فتح الشكور ص: 33 / نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ج 1 ص: 272 / الإعلام للمراكشي ج 11 ص: 304.

2-فتح الشكور ص: 33.

3-روضه الاس ص: 314.303



• وقال عنه تلميذه السعدي: «الفقيه، العالم، العلامة، فريد دهره ووحيد عصره، البارع في كل فن من فنون العلم... فاق جميع معاصريه... اشتهر في الغرب أمره وانتشر ذكره، وسلم له علماء الأمصار في الفتوى¹».

• وقال عنه القادري: «... نفع الله به هذا القطر المغربي وحُمل منه علم غزير، واستُفيد ما عنده من التحقيق والتحرير وقد اشتهر فيه اشتهار أهله وتحققت فيه مكانة قدره وفضله. «...²

وإلى جانب ثناء العلماء عليه هناك مظهر آخر يبرز مكانته وقيمة آثاره العلمية، ويتجلى في اعتماد الذين جاءوا بعده على كتبه، واستشهادهم بأقواله الموثوقة في ثنايا مختلف مؤلفاته.

وقد نقل عنه علماء سوس كثيرا، ومن رجع إلى فتاوى علماء جزولة يظهر له هذا الأمر واضحا.

ولا مراء أن كثرة الثناء على أحمد بابا من طرف معاصريه ومن بعدهم يعد شهادة عظيمة واعترافهم له بفضله ومكانته.

كما أن الاهتمام ببعض كتبه وتناولها بالشرح والتذييل والطبع، غني عن كل تعليق في بيان أهميتها وقيمتها العلمية، مثل كتابه «نيل الابتهاج» وكفاية المحتاج» في التراجم ومن الرب الجليل» في شرح المختصر التي حظيت أو استأثرت باهتمام الدارسين في مختلف العصور.

2 - وفاته:

بعدهما أفرج عنه من الإقامة الجبرية في مراكش، جلس أحمد بابا يدرس في أنوه جوامع مراكش وظل في ذلك سنوات ثم رجع إلى مدينته تنبكت، فواصل نشاطه العلمي، وتفرغ لمهمة التدريس والفتوى، والتأليف، وظل يربي النشء تربية صحيحة، ويساهم في حل مشكلات مجتمعه على ضوء الكتاب والسنة، وأقوال العلماء السابقين، في إطار الفقه المالكي، ويراسل علماء عصره في كل المستجدات والمعضلات، وبقي في هذا النشاط العلمي الجليل إلى أن فارق الحياة يوم 6 شعبان عام 1036 هـ الموافق لـ 22 أبريل

1- تاريخ السودان، ص: 35.

2- نشر المثنى، ج، ص: 275.



1627 م عن سن تناهز إحدى وسبعين سنة رحمه الله رحمة واسعة بعد أن كوّن أجيالا كثيرة ومشاهير من العلماء، حملوا رايته بعده ونشروا علمه بين الأوساط العلمية .

لقد توفي رحمه الله، لكن أقواله لازالت حية تفرح الأذان، ويتردد صداها في كل حين، إنه عالم حقا يستحق الذكر والتنويه والتدريس والتكريم.

وصفوة القول: إن أحمد بابا ولد في مدينة تنبكت التي كانت تمثل رمز الحضارة الإسلامية ومجدها، ومهد العلوم الإسلامية في القرن العاشر الهجري بالسودان الغربي وتربى تربية دينية، ونشأ نشأة علمية في جو أسرة علمية لها السيادة والرئاسة والقضاء في السودان الغربي، الأمر الذي ساعده على أن يتفرغ للعلم منذ صغره إلى ريعان شبابه دون أن يفكر في عناء العيش ومشقته.

وقد بقي أحمد بابا في طلب العلم، وبذل فيه جميع أوقاته، ووهب له حياته حتى أصبح من أكبر العلماء في مدينته.

وتشاء الأقدار أن تحصل مشكلة بين الدولة السعودية والأسكية فنفي أحمد بابا إثرها إلى مراكش، وفرض عليه الإقامة الإجبارية. وأثناء هذه المرحلة الحاسمة انهالت عليه الكتب النادرة فعكف عليها، هضمها وقضما.

وبعد مدة بدأ يؤلف ما جادت به قريحته من الأفكار فأنتج عدة مؤلفات في ميادين مختلفة تدل على غزارة علمه وسعة ثقافته، ودقته في التصنيف والتأليف.

ولما أفرج عنه جلس للتدريس فهرع إليه الطلبة والعلماء، يأخذون عنه، من كل حذب وصوب، فذاع صيته غربا وشرقا، وبقي في هذا النشاط العلمي الجليل في مدينة مراكش إلى أن رجع إلى السودان، فواصل في تكوين النشء والأجيال إلى أن فارق الحياة 1036 هـ- كما سبق- بعد ما ترك وراءه تلاميذ، نبغ كثير منهم، وواصلوا حمل رايته وتبليغ رسالته في خدمة الثقافة العربية الإسلامية عامة والمذهب المالكي خاصة.

ومن الجدير بالتنبيه أن في عصر أحمد بابا التنبكتي «كانت إفريقيا مجالا لعبث المستعمرين الذين كانوا يهاجمون سكانها الأبرياء يروعونهم بأصوات المدافع وقعقة السلاسل ويحملونهم مكرهين إلى أمريكا الشمالية وغيرها من البلاد الأوروبية. وفي الوقت الذي كان المفكرون الغربيون يتنكرون للحضارة الإفريقية



ويزعمون أنها قارة بدون حضارة وبدون تاريخ كان صوت أحمد بابا التمبكتي صارخا في مؤلفاته الكثيرة التي ما يزال غالبيها مخطوطا يتحدث عن حرية الإنسان والمساواة، وعن تاريخ إفريقيا الحضاري وأمجادها التاريخية. فكان هذا التعبير في الواقع هو الجواب الصادق للتصرفات الاستعمارية الفاقدة للحاسة الإنسانية¹.

المبحث الثاني: جهوده في خدمة المذهب المالكي

يعتبر أحمد بابا علماً من أعلام الفقه المالكي في القرن العاشر الهجري بالغرب الإسلامي، لما بذله من جهود في ترسيخ الفقه المالكي في المجتمع، سواء في المغرب أو في السودان الغربي. وتتجلى جهوده في الفقه المالكي من خلال إنتاجاته الفكرية من مؤلفات وفتاوي في إطار الفقه المالكي الذي ظل يدافع عنه بقلمه ولسانه إلى أن فارق الحياة. الأمر الذي خلد ذكره في سجل تاريخ علماء الفقه المالكي في الغرب الإسلامي عامة وفي السودان الغربي خاصة.

وتتجلى جهوده في خدمة المذهب المالكي في الأمور الآتية:

المطلب الأول- النواحي التي تظهر فيها جهوده في خدمة المذهب المالكي

إن الباحث المتمعن لما تركه أحمد بابا من آثار يجد أن جهوده تتجلى أساسا في مؤلفاته وفتاويه التي عالج بها القضايا التي كانت تروج في عصره، ليحل مشاكل مجتمعه، ويصحح بعض المفاهيم الفاسدة الراجحة في زمنه على ضوء المذهب المالكي.

وقد تركزت جهوده في مصنفاته، على تميم ما رآه ناقصا من أعمال سابقه، وشرح ما رآه غامضا من مؤلفاتهم، واختصار ما ظهر له طويلا، وجمع ما يبدو له متفرقا ليسهل استيعابه للدارسين، وحل بعض القضايا الراجحة في عصره.

1- الدكتور عبد الهادي بو طالب: مختارات من خطبه وكلماته ص: 224



إن هذا النهج الذي سلكه أحمد بابا في مؤلفاته هو الذي اشترطه العلماء في التأليف، وعدوا الخروج عنه في التأليف ضرباً من العبث، وعملاً بلا فائدة.

وقد أكد ابن خلدون هذا الأمر، حين تحدث عن أقسام التأليف بقوله: «إن الناس حصروا مقاصد التأليف التي ينبغي اعتمادها وإلغاء ما سواها، فعدوها سبعة...». إلى أن قال: «... فهذه جماع المقاصد التي ينبغي اعتمادها بالتأليف ومراعاتها. وما سوى ذلك، ففعل غير محتاج إليه وخطأ عن الجادة التي يتعين سلوكها في نظر العقلاء.»¹

وقد نقل أحمد بابا هذه المقاصد التي ذكرها ابن خلدون عن ابن حزم فقال:

«قال ابن حزم وغيره: أقسام التأليف سبعة، لا يؤلف عاقل إلا في أحدها: إما بشيء لم يسبق إليه يخترعه، أو ناقص يتممه، أو مستغلق يبينه، أو طويل يختصره دون إخلال بمعانيه أو مفترق يجمعه، أو مختلط يرتبه، أو خطأ يصلحه.»²

وزاد حاجي خليفة بعد سرده هذه المقاصد قائلاً: «... وينبغي لكل مؤلف كتاب في فن قد سبق إليه أن لا يخلو كتابه من خمس فوائد: استنباط ضيء كان معضلاً أو جمعه إن كان مفترقا، أو شرحه إن كان غامضاً، أو حسن نظم وتأليف أو إسقاط حشو وتطويل.

وشرط في التأليف إتمام الغرض الذي وضع الكتاب لأجله من غير زيادة ولا نقص وهجر اللفظ الغريب وأنواع المجاز... وزاد المتأخرون اشتراط حسن الترتيب ووجازة اللفظ ووضوح الدلالة، وينبغي أن يكون مسوقاً على حسب إدراك أهل الزمان وبمقتضى ما تدعوهم إليه الحاجة»².

فهذه هي الأغراض أو المقاصد التي ينبغي أن يدور التأليف حولها، والشروط التي ينبغي، أو يستحسن للمؤلف أن يراعيها ويضعها نصب عينيه عند التأليف.

1- مراجع: تاريخ ابن خلدون، ج 1 ص: 1026، 1028. الطبعة الثالثة، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر بيروت 1967.

2- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة ج 1 ص: 35-36



وإذا قمنا بإحصاء لجميع مؤلفات أحمد بابا الموجودة والمفقودة- التي لم يبق إلا عناوينها- نجد أنها لا تخرج عن هذه الأغراض، والضوابط التي وضعها العلماء للتأليف. الأمر الذي يدل ويؤكد على أن جهود أحمد بابا في خدمة الفقه المالكي جهود مشكورة ينبغي العناية بها وإخراجها من الرفوف إلى حيز الوجود.

ولنبين ما قلنا حول جهوده في التأليف بإعطاء أمثلة:

فكتابه «نيل الابتهاج» وكفاية المحتاج» يعتبران من أهم ما كتب في تاريخ الفقه المالكي في القرون المتأخرة. فعمله في هذين الكتابين تميم لما قام به ابن فرحون في «الديباج المذهب».

وقد نوه بهما كثير من العلماء، بل عدّاه من أهم ما كتب في تراجم العلماء المالكية في القرن الحادي عشر.

وقد جاء في مقدمة نيل الابتهاج. وهو يبين، يعني أحمد بابا، دوافعه في تأليفه، وقيّمته العلمية. «... لما كان علم التاريخ ومعرفة الأئمة من علماء الملة من الأمور العلية، يعتني به كل ذي همّة زكية. إذ هم نقلة الدين

وحملة الشريعة المحمدية، وبه يتميز الصالح من الطالح والمسخوط من المقبول... اعتنى الأئمة قديما وحديثا بالوضع فيها على أنحاء متفاوتة وأضرب متباينة... وكان ممن سعى في ذلك من أهل مذهبنا المالكية

سعيًا حثيثًا... الإمام الكامل الجليل الفاضل أبو عياض... ثم تبعه جماعة اختصروا من مداركه بعض ما

تيسر كابن حماد... وغيرهم من فضلاء الأعيان. ثم جاء العلامة الحافظ القدوة أبو اسحاق إبراهيم بن

فرحون... فقطف من كلامه بعض ما ذكر، واستدرك عليه جماعة ممن عنه تأخر... فهو وإن لم يوف من

ذلك المطلوب الغرض، فلقد قام ببعض الحق المفترض...

«فما زالت نفصي تحدثني من قديم الزمان وفي كثير من ساعات الأوان باستدراكي عليه ببعض ما فاتته، أو

جاء بعده من الأئمة الأعيان، فقيدت فيه بحسب الإمكان.»¹ «... هذا مع أن المجتهد في هذا الغرض

مقصر، والمطيل مختصر. إذ ما يذكر أقل من معشار ما يغفل وما ينقل لا نسبة بينه وبين ما يجهل فبحار

العلم مسجورة وغايات الإحسان على الإنسان مهجورة. وحسبك في صعوبة الحال، أنا لم نجد أحدا

تعرض لجمع ذلك بعد ابن فرحون أو تصدى لذلك في جد أو مجون، إلا رجلا واحدا من أهل العصر ذكر

في مجموع نحو ثلاثمائة رجل بيض لتراجم جماعة منهم، لم يجد لمعرفة سبيلا ولا ذكر من حالهم كثيرا

1- أحمد بابا التميمي منشورات الإيسيسكو ص: 85 - 86.



ولا قليلا، مع أنه من أهل مصر والقاهرة، وله حظ من الرئاسة الظاهرة وعنده من الكتب على ما قيل ما لا يحصى لما ناله من السعادة الباهرة، وقديما قيل: نعم العون على العلم الرياسة... ولولا فضل المولى ذي الفضل وإحسان... ما جمعت في هذه الكرايس ما تيسر لي ممن ليس في ديباج ابن فرحون مذكورة. وزدت في بعض تراجم ما ذكره ما ترك من أوصافه المشكورة. «...»¹

أما كتاباه «المقصد الكفيل»، و«منن الرب الجليل ببيان مهمات خليل»، فهما شرحان لمختصر خليل الذي شغل الدنيا وملاها.

ويعد هذا المختصر من أهم المختصرات التي وجدت قبولا منقطع النظر من طرف علماء المالكية في العصور المتأخرة، ولذلك حظي باهتمام أحمد بابا، فتناوله بالشرح والتعليق.

وقد جاء في ترجمته لخليل في كتابه «نيل الابتهاج»، وهو يبين قيمة شرحه الذي وضعه على مختصر خليل «وقد يسر الله تعالى لي في وضع شرح عليه جمعت فيه لباب كلام من وقفت عليه من شراحه وهم أزيد من عشر مع الاختصار والاعتناء بتقرير ألفاظه: منطوقا ومفهوما وتنزيله على النقول بحيث لو كمل لما احتيج، غالبا، إلى غيره. «...»²

ويعد شرحه هذا من الشروح المعتمدة عند المتأخرين عنه، في المذهب المالكي.³ كما وضع عليه مجموعة من الرسائل، تناول فيها بعض الإشكالات الموجودة في مختصر خليل، وبيان بعض التناقضات الحاصلة بين أقوال خليل.

وهذا يشير حين تحدث عن المختصر وشروحه بقوله: «وكتبت أيضا تحريرات ونكتا على كثير من مشكلاته. «...»⁴

1- يراجع نيل الابتهاج على هامش الديباج المذهب لابن فرحون ص: 4، 22، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، بدون تاريخ.

2- نفسه، ص: 171، 172.

3 يراجع: العذب السلسبيل في حل ألفاظ خليل: الملك مولاي عبد الحفيظ ص: 64، 65. مطبعة احمد يمني. فاس سنة 1326/الاختلاف الفقهي في المذهب المالكي: مصطلحاته واسبابه: عبد

العزیز بن صالح الخلفي ص: 227، المطبعة الأهلية قطر، الطبعة الأولى 1414/1993

4 يراجع: نيل الابتهاج ص: 171، 172.



أما كتابه ترتيب جامع المعيار للونشريشي، فعنوانه يدل على أنه أراد أن يرتبه ترتيباً جيداً، ويوبه تبويهاً حسناً، ليسهل تناوله للذين يأتون بعده، ومما يؤسف له أن هذا الكتاب في عدد كتبه المفقودة، ولم يتم العثور عليه حتى الآن.

أما مصنفه اللآلي السندسية فهو مختصر للمواهب القدسية للملاي، حاول أن يلخصه لما رأى فيه من التطويل والحشو ليستفيد منه الدارسون.

أما ما صنفه في الفتوى مثل: «جوابه عن القوانين العرفية»، ومعراج الصعود» و«اللمغ في حكم تبغ» وغيرها من الفتاوى، فهي كلها، كانت تتناول مسائل مثيرة بحدة في عصره. فحاول أن يدلي فيها بدلوه ليجد حلاً لها، إذ هو من المستفتين الذين يستفتون في المسائل، ويعتد بأقوالهم. بل وأكثر من هذا، يوجه إليه المسائل العويصة في غالب الأحيان قبل غيره.

وهكذا يمكن القول: بأن جل مؤلفاته في دائرة ما يعد مساهمة وإضافة مهمة في صرح الحضارة الإسلامية، وعملاً معتبراً في التأليف؛ لأنها استطاعت أن تستجيب لكثير من القضايا المثارة، وأن تسد فراغاً في وقته. ولا شك أن هذا هو المطلوب من أي عالم، ولا يطلب منه أكثر من هذا، ويبقى التفاضل في مقدار ما قدم من الجهود وقيمتها.

هذا ومن الجدير بالذكر أن أحمد بابا وإن كانت مؤلفاته في الغالب تدور حول المقاصد التي وضعها العلماء للتأليف، فإنه لا يتفق مع التصور القائل: بأن التأليف إذا لم يشتمل إلا على نقل ما في الكتب، بدون فائدة زائدة، فهو تخسير للكاغد، بل فلسفته في التأليف أكبر من هذا، حيث يرى أن إحياء النصوص القديمة والغريبة، وبعثها في الوجود من الأمور المهمة أيضاً ولذا قال: «... ورب تأليف يجمع من غرائب النقول التي لا يكاد يطلع عليها غير مؤلفه غالباً، أفيد من كثير من التأليف التي فيها زوائد من مؤلفه ككثير من تواليف الجلال السيوطي، لما اشتملت عليه من نقول وفوائد لا يكاد يطلع عليها غيره رحمه الله تعالى.

«...»¹

1-راجع: تحفة الفضلاء ص: 34.



وهكذا تظهر لنا فلسفته في التأليف، فالتأليف عنده لا يقتصر فقط على إتيان شيء زائد على ما في الكتب السابقة بل يشمل أيضا جلب نصوص ونقول غريبة أو قديمة، وقد يكون هذا النوع أفيد من النوع الأول، إذ إحيائها وبعثها في الوجود قد يلهم عقول المفكرين لبناء فكرة جديدة وصائبة.

وبهذا تتضح جليا جهود أحمد بابا في خدمة الفقه المالكي وتاريخه.

على أن هذا العمل الذي قدمه للفقه المالكي وتاريخه خاصة والثقافة الإسلامية بصفة عامة. وإن كان ليست فيه نزعة التجديد والابتكار والاستقلال، فإن جميع العلماء المنصفين يعترفون بفضله وقيمة عمله وينوهون به.

ولسنا نبالغ إذا قلنا: لو لم يكن له في المذهب المالكي إلا كتبه الأربعة، «نيل الابتهاج»، و«كفاية المحتاج»، و«المقصد الكفيل»، و«منن الرب الجليل» لكفته فخرا؛ لأن هذه الكتب وجدت إقبالا كبيرا لدى المتأخرين الذين جاءوا بعد أحمد بابا في المذهب المالكي.

ومما تنبغي الإشارة إليه أيضا أن هذا العمل الذي قام به أحمد بابا، لم يكن ابن بجدة وأبا عذرتة، بل استقاه من أعمال سابقه، ثم استدرك عليهم.

وكان العلامة أحمد بابا. وهو يكر على أعمال سابقه بالاستدراك والتتميم والتصحيح والشرح والاختصار- يتمثل بقول الجويني: «... السابق وإن كان له حق الوضع والتأسيس والتأصيل فللمتأخر الناقد التتميم والتكميل. وكل موضوع على الافتتاح قد يتطرق إلى مبادئه بعض التثبيح ثم يتدرج المتأخر إلى التهذيب والتكميل فيكون المتأخر أحق أن يتبع لجمعه المذاهب إلى ما حصل السابق تأصيله، وهذا واضح في الحرف والصناعات فضلا عن العلوم ومسالك الظنون، وهذه الطريقة يقبلها كل منصف وليس فيها تعرض لنقض مرتبة إمام.»¹

فهذا يعني أن المتأخر لا ينبغي أن يقف تجاه أعمال السابقين موقف المتفرج، العادي الساذج، بل عليه أن ينظر إليها نظرة الناقد الموضوعي، الثاقب النظر، الفاحص المتمعن. يستدرك على ما فات الأوائل، ويتمم

1-راجع: البرهان في أصول الفقه: الجويني ج 2 ص: 1147 حققه وقدمه د عبد العظيم الديب الطبعة الثالثة 1400 هـ دار الانصار القاهرة.



ما بدأه الأسلاف، ويصحح ما لا بد من تصحيحه، وبذلك يكون قد قام بواجبه، وأوفى بما ينبغي الوفاء به، فاستحق أن يخلد ذكره.

وهذا ما قام به أحمد بابا، فهو استفاد ممن سبقوه ثم كر عليهم بالاستدراك والشرح والتصحيح...

الأمر الذي يعني أن أحمد بابا قد أخذ وقلد ثم أعطى وأبدع وهذا هو المطلوب.

المطلب الثاني: مؤلفاته

يمتاز أحمد بابا، بأنه عالم مشارك في عدة فنون من العلم؛ ولهذا ترك عدة مصنفات في شتى العلوم. ومن هذه المؤلفات ما هو موجود، ومنها ما هو مفقود، وما زالت الأبحاث جارية للعثور عليها في الخزانات المختلفة في أنحاء العالم. وسنذكر في هذا المطلب مؤلفاته الفقهية فقط التي أسهم بها في خدمة الثقافة العربية الإسلامية بصفة عامة والمذهب المالكي بصفة خاصة.

أولاً: مؤلفاته الموجودة وأماكن وجودها¹

1. إرشاد الواقف لمعنى «وخصصت نية الحالف».

هذه الرسالة مختصرة لتنبية الواقف الذي سيأتي ذكره، وتوجد عدة نسخ من هذه الرسالة في المغرب، كما أنها طبعت بطبعة حجرية بفاس 1307 هـ وتوجد هذه الرسالة في الخزانات المغربية، وغيرها تحت الأرقام التالية: خ ح: 9615/ خ ع: 470 ك مع مجموعة. وتجدر الإشارة إلى أنه توجد في الخزنة العامة عدد نسخ من هذا المخطوط/خ ت: 2999/ م أ ت: 377.

2. أسئلة في المشكلات:

هذا المؤلف عبارة عن عدة مسائل استشكلها أحمد بابا في مواضع من مختصر خليل وابن الحاجب، فأرسل إلى سالم السنهوري وغيره من علماء مصر يطلب منهم بيان آرائهم فيما يقول في هذه المواضع المستشكلة.

1- سترمز للخزائن التي توجد فيها كتب أحمد بابا بالرموز التالية: خ ح = الخزنة الحسنية (الملكية)، خ ع = الخزنة العامة بالرباط، خ ت = خزنة تمكروت (الزاوية الناصرية)، م أ ت = مركز

أحمد بابا بتبكتو، م ع ف = خزنة مؤسسة علال الفاضي الرباط، د ك و = دار الكتب الوطنية تونس، خ ص = الخزنة الصبيحية، سلا، م و = المكتبة الوطنية بالجزائر.



ويبدو أن هذا المؤلف هو المسمى أيضا: «تعليق على مواضيع من خليل ومواضيع من ابن الحاجب». وتوجد نسخة منه في خ.ع: 470 ك مع مجموعة، وهذه النسخة هي الوحيدة المعروفة حتى الآن.

3. إفهام السامع بمعنى قول خليل في النكاح بالمنافع أو النكت اللوامع في مسألة النكاح بالمنافع.

هذه الرسالة طبعت بطبعة حجرية بفاس 1307 هـ. وتوجد أيضا عدة نسخ منها في الخزائن تحت الأرقام التالية: خ ح: 9016، 9615/خ.ع: 470 ك/ خ ت: 2999/ م أ ت: 773.

4. أنفس الأعلاق بفتح الاستغلاف من فهم كلام خليل في درك الصداق، أو «نفيس الأعلاق بفتح الاستغلاف من كلام خليل في درك الصداق»، طبعت هذه الرسالة بطبعة حجرية بفاس 1307 هـ. وتوجد أيضا عدة نسخ منها: خ ح: 9615، 7745/ خ ت: 2999، 2538/ م أ ت: 773/ خ ع: 470 ك.

5. إيضاح السبيل على توضيح ألفاظ خليل¹ توجد نسخة منه في: م أ ت: 629.

6. تعليق على مواضع من ابن الحاجب

توجد هذه الرسالة ضمن أسئلة في المشكلات التي ذكرنا سابقا تحت رقم: خ ع: 470 ك.

7. تنبيه الواقف على تحقيق وخصص نية الحالف أو تنبيه الواقف على تحرير وخصص نية الحالف.»

اختصر هذه الرسالة في إرشاد الواقف، وتوجد عدة نسخ منها: خ ح: 9226 ب/ خ ع

8. جواب عن ثلاث أسئلة

توجد نسخة منها بالمكتبة الوطنية بالجزائر ضمن مجموعة تحت رقم 532 10.

9. جواب عن القوانين العرفية التي تعارف عليها بعض سكان الجبال².

توجد عدة نسخ منها: خ ح: 5813/ خ ع: 1016 ج، 3693 د في الفوائد الجمّة من ص: 442. 544.

1 هذا الكتاب منسوب إلى أحمد بابا، لكنه بعد الاطلاع عليه وإجالة النظر فيه، تبين لي أنه ليس له ولعله لسوداني آخر والله أعلم.

2 هذه الفتوى منشورة في كتاب أدب النوازل الذي نشره كلية الآداب الرباط.



10. رسالة في التحذير من قرب الظلمة ومصاحبته.

يبدو أن هذا الكتاب هو أول ما كتبه أحمد بابا في الموضوع ثم نقحه وزاد عليه بعض المسائل ووضع له عنوان: جلب النعمة أو ما رواه الرواة.

11. الزند الوري في مسألة تخيير المشتري» أو تعليق على قول خليل في أواخر الخيار وخير المشتري».

توجد عدة نسخ منها: خ ح: 9615/ خ ع: 470 ك/ خ ت: 2538 (5)، 2999 (10) م أ ت: 773.

12. فتح الرزاق في مسألة الشك في الطلاق:

طبعت بطبعة حجرية بفاس 1307 وتوجد عدة نسخ مخطوطة منها: خ ح: 9615/ خ ع: 3848 ك، 470، ك/ خ ت: 2999 (12)، 2538 (4) / م أ ت: 773.

13. الكشف والبيان لأصناف مجلوب السودان. أو معراج الصعود لنيل مجلوب السود. أو معراج

الصعود الى نيل حكم مجلب السود¹.

توجد عدة نسخ من هذا المخطوط في: خ ح: 5779، 3565، 7248، خ ع: ج 100، 194 د، 478 د، 1079 د، 1724 د، 725 ق/ م أ ت 25/ الخزانة الوطنية بباريس: Ara 5259

14. كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج

هذا الكتاب حققه محمد مطيع لنيل د.د.ع. والرسالة² مرقونة بكلية الآداب بالرباط تحت رقم: 922,172 مطيع، وقد طبعته وزارة الأوقاف بالمغرب. وتوجد عدة نسخ مخطوطة منها: خ ح: 681، 1457 ز، 453، 3029، خ ع: 2223، 2390 ك، 109 ج/ م ع ف: ع 356/ د ك و: 9300.

15. اللمع في الإشارة لحكم تبغ:

توجد نسخ في: خ ح: 3627 ز، 12471، 100 مع النص الأصلي ت ص: 270. 290/ خ ت: 2999 (6).

¹ توجد نسخة مرقونة مع رسالة سامي سعيد لنيل د.د.ع. وقام معهد الدراسات الأفريقية بالرباط بطبعه
² هذه الرسالة طبعته وزارة الأوقاف بالمغرب



16. اللمعة في أجوبة المسائل الأربع في كتب البسمة وما معه

توجد نسخة في: م أ ت: 1102 / المكتبة الوطنية بالجزائر: 532 (9).

17. مسائل إلى علماء مصر.

توجد نسخة في: الخزانة الوطنية بباريس 5382Arabe وهي النسخة الوحيدة المعروفة حتى الآن.

18. منن الرب الجليل ببيان مهمات خليل:

توجد عدة نسخ منه في الخزائن المغربية منها: خ ح: 4468، 11226، 4975 / خزانة الجامع الكبير بمكناس:

26 / خ ت: 543، 348، 391. / وتوجد نسخة منها أيضا في م أ ت تحت رقم 5661 بعنوان: منح الجليل على

مختصر خليل¹.

19. نيل الابتهاج بتطريز الديباج أو: نيل الابتهاج بالذيل على الديباج.

اختصر هذا الكتاب في كفاية المحتاج. طبع هذا الكتاب عدة مرات. وآخر هذه الطبقات الطبعة التي نشرها كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس 1989 م. توجد عدة نسخ مخطوطة منها: خ ح: 99 (4)، 1896، 2139، 1274، 2358، 4206، 3302 / خ ع: 766 د، 394 د، 610 ج، 394 ق.

ثانيا: مؤلفاته المفقودة:

بعد أن رأينا مؤلفات أحمد بابا الفقهية الموجودة في مختلف الخزائن في أنحاء العالم. سنتناول في هذا الفرع مؤلفاته الفقهية المفقودة، التي وردت عناوينها في ثنايا مؤلفاته وكتابات من ترجموا له. وسنكتفي بذكر عنوان المؤلف وبعض مصادر وروده.

- أجوبة على الأسئلة المصرية: مذكور في فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور.
- ترتيب جامع المعيار للونشريشي مع الزوائد عليه.

¹ يبدو أن هناك طلابا في دار الحديث الحسنية يقومون بتحقيقه



مذكور في: كفاية المحتاج ص: 462/ روضة الآس ص: 05 نشر المثنى ج ا ص: 272/ خلاصة الأثر ج ا ص: 171/ فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ص: 63. تعاليق وطرر شيخه محمد بغيغ. مذكور في نيل الابتهاج في ترجمة محمد بغيغ ص 603.

• درر الوشاح بفوائد النكاح، وهو مختصر لكتاب الوشاح للسيوطي.

مذكور في كفاية المحتاج ص: 461/ فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ص: 36/ الأعلام بمن حل مراكش وأغمات ج II ص 304/ نشر المثنى ج ا ص: 072.

• فوائد النكاح على مختصر كتاب الوشاح

ذهب الأستاذ فراج سالم عطا في مقالته في مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي: العدد الرابع عام 1401هـ، ص: 657، نقلا عن خلاصة الأثر إلى أن هذا المؤلف مستقل. ويظهر لنا أن هذا وهم، فهذا الكتاب هو درر الوشاح، وليس مؤلفا مستقلا. ولعل صاحب خلاصة الأثر نضي ان يزيد «درر الوشاح» أو أن الخطأ وقع في النسخ. والمهم أن فوائد النكاح ليس كتابا مستقلا بل هو نفس كتاب درر الوشاح، لا فرق بينهما والله أعلم.

• القول المنيف في ترجمة الإمام عبد الله الشريف

مذكور في نيل الابتهاج في ترجمة محمد بن أحمد المعروف بالشريف التلمساني ص: 432.

• المقصد الكفيل بحل مقفل خليل أو المقصد الكفيل بتحرير فتاوى خليل وهذا الكتاب شرح

لمختصر خليل من أول الزكاة إلى النكاح.

مذكور في كفاية المحتاج ص: 461. تنبيه الواقف ص: 9/ روضة الآس ص: 303/ الإعلام بمن حل مراكش وأغمات ج II ص 304/ فتح الشكور ص: 35/ خلاصة الأثر ج ا ص 171/ نشر المثنى لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ج ا ص: 172.



وباختصار- بعد هذه الجولة السريعة في سرد مؤلفات العلامة أحمد بابا التنبكتي التي أسهم بها في خدمة المذهب المالكي- يظهر لنا أن آثاره الناطقة بيننا تدل على غزارة علمه وسعة ثقافته، وكثرة تصانيفه وتأليفه، وإحاطته بعلوم عديدة، وتأثيره على الفكر الإسلامي والتراث الحضاري. وإن بعض آثاره قد ضاعت، لكن من حسن الحظ نص كثير من المترجمين له على بعض هذه المصنفات التي فقدت مع ما فقد من تراث الإسلام، فحفظوا لنا على الأقل أسماءها، أو عناوينها. ويبقى لنا أمل كبير في العثور على بعض كتبه التي ضاعت في خزائن المكتبات ودور الكتب، وغرف المخطوطات العامة والخاصة في البلاد الإسلامية- وخاصة المغرب¹ - وفي مدن العالم أجمع.

خاتمة

بعد هذه الجولة السريعة في شخصية أحمد بابا التنبكتي، وجهوده في خدمة المذهب المالكي، من خلال مؤلفاته المخطوطة والمطبوعة يمكن القول: بأن العلامة أحمد بابا التنبكتي يعتبر من أعظم علماء غرب أفريقيا شهرة في الغرب الإسلامي خلال القرن العاشر والحادي عشر الهجريين، وأن جهوده في الفقه المالكي تظهر في عدة نواحي من مؤلفاته: استدراك ما فات سابقيه وإتمام ما يراه ناقصا وشرح ما يراه غامضا واختصار ما يظهر له طويلا، وترتيب ما يبدو له مفرقا، وإيجاد حل لبعض القضايا الفكرية الراجحة في عصره إلى غير ذلك من أغراض التأليف التي لا يعدم من الفائدة.

وأن العلامة أحمد بابا بجهوده هذه، قد خدم المذهب المالكي خدمة جليلة وملا الساحة الفكرية تأليفا وتعليما وإفتاء في مختلف الجوانب، فكان ظاهرة تستحق الدراسة.

وأخيرا وليس آخرا، فالعلامة أحمد بابا التنبكتي كما يظهر من مؤلفاته ودراساته ابن إفريقيا البار فقد درس في مسقط رأسه تنبكت وسجل لنا أسماء كثير من المفكرين الذين عرفتهم غرب القارة الإفريقية، معبرا عن تمسك إفريقيا بالقيم الإسلامية والدين الإسلامي، وضلاعتها باللغة العربية وأدائها. ولا غرو فإن

1- تجدر الإشارة، إلى أنه توجد عدة مؤلفات لأحمد بابا في الخزانة العامة بالرباط بين المجمع، لكنها غير م فهرسة. ويظهر أنه لو تم إعادة فهرسة دقيقة لمخطوطات الخزانة العامة، لوجدت فيها عدة كتب لأحمد بابا، والله أعلم.



القارة الإفريقية كانت البلاد التي دوى فيها صوت الإسلام منذ بدايته فكانت الهجرة إلى الحبشة قبل الهجرة إلى المدينة... وكانت نشأة المرابطين في حوض نهر النيجر وهم حماة الثقافة الإسلامية في الأندلس والغرب الإسلامي، ولم يكن أحمد بابا إلا ثمرة هذه الثقافة العريقة في إفريقيا، لم يلبث أن نماها بما كتبه من مؤلفات تربط بين المشرق والمغرب الإسلاميين. وكتابه «نيل الابتهاج بتطريز الديباج» إتمام لعمل ابن فرحون المشرقي «الديباج المذهب». وكل مؤلفاته في واقعها دعوة سلفية للحرية والمساواة والتكامل بين أجزاء العالم الإسلامي.

وقد ظلت هذه الشخصية تمد تاريخ إفريقيا المعاصر بروحها الإسلامية القويمة والقوية معا. ففي غرب إفريقيا اليوم صحوة إسلامية تبدو في جامعاتها ومدارسها المتعددة وفي تمسكها بشخصيتها الإسلامية، وتمرسها باللغة العربية... فأحمد بابا التنبكتي السوداني موجود بروحه في هذه النهضة ورمز لاستمرارها¹. وإن الآمال معقودة على مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة الفريدة من نوعها في الغرب الإسلامي؛ لإحياء تراث هذه الشخصيات الإسلامية التي ظلت أسماؤها تغالب التاريخ بما قدمته للإسلام من خدمات جلى في مختلف فنون المعرفة؛ فجزاهم الله عنا وعن الثقافة العربية الإسلامية، والفقهاء الإسلامي المالكي خيرا.

المصادر والمراجع:

6. أحمد بابا التنبكتي: بمناسبة مرور أربعة قرون ونصف على ولادته، منشورات إيسيسكو.
7. الاختلاف الفقهي في المذهب المالكي: مصطلحاته وأسبابه، عبد العزيز بن صالح الخليفي المطبوعة الأهلية قطر. الطبعة الأولى 1993م/1414هـ.
8. إرشاد الواقف لمعنى وخصصت نية الحالف، مخطوط ورقمه: خ ح: 9615/ع: 470 ك مع مجموعة.
9. أسئلة في المشكلات، مخطوط في الخزانة العامة مع مجموعة تحت رقم: 470 ك.

1- مراجع: مختارات من خطبه وكلماته، للدكتور عبد الهادي بو طالب: ص: 224-225



10. إيفهام السامع بمعنى قول خليل في النكاح بالمنافع أو النكت اللوامع في مسألة النكاح بالمنافع، مخطوط في الخزانة العامة تحت رقم: 470 ك.
11. العذب السلسبيل في حل ألفاظ خليل، الملك مولاي عبد الحفيظ، مطبعة أحمد يميني، فاس سنة 1326 هـ.
12. أنفس الأعلاق بفتح الاستغلاق من فهم كلام خليل في درك الصداق، طبعت هذه الرسالة بطبعة حجرية بفاس 1307 هـ.
13. البرهان في أصول الفقه، الجويني، حققه وقدمه د عبد العظيم الديب، الطبعة الثالثة 1400 هـ، دار الأنصار، القاهرة.
14. تاريخ ابن خلدون، الطبعة الثالثة، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت 1967 م.
15. -تاريخ السودان، للشيخ عبد الرحمن السعدي، وقف على طبعه السيد هوداس، طبعة 1981 م، باريس.
16. تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء، أحمد بابا التنبكتي، منشورات معهد الدراسات الإفريقية.
17. تنبيه الواقف على تحقيق وخصص نية الحالف أو تنبيه الواقف على تحرير وخصص نية الحالف، مخطوط في الخزانة الحسنية تحت رقم: 9226 ب.
18. جواب عن القوانين العرفية التي تعارف عليها بعض سكان الجبال، مخطوط في الخزانة العامة تحت رقم: 1016 ج.
19. الحركة الفقهية ورجالها في السودان الغربي من القرن الثامن إلى القرن الثالث الهجري، للدكتور عبد الرحمن محمد ميغا، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، 1432 هـ/2011 م.
20. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد أمين بن فضل الله المحبي، مكتبة خياط، بيروت لبنان.



21. روضة الأس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراکش وفاس، أحمد المقري، الطبعة الثانية 1983م/1403هـ، المطبعة الملكية - الرباط.
22. الزند الوري في مسألة تخيير المشتري، مخطوط بالخزانة الحسنية تحت رقم: 9615.
23. فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، لأبي عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى 1981م.
24. الكشف والبيان لأصناف مجلوب السودان، مخطوط بالخزانة العامة تحت رقم: 100، 194د.
25. كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، أحمد بابا التنبكتي، دراسة وتحقيق الأستاذ محمد مطيع، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، 1421هـ/2000م.
26. اللغ في الإشارة لحكم تبغ، مخطوط في خ ح: 3627 ز.
27. مختارات من خطب وكلمات الدكتور عبد الهادي بوطالب، الطبعة الثانية 2010م/1431هـ، منشورات إيسيسكو.
28. منن الرب الجليل ببيان مهمات خليل، مخطوط بالخزانة الحسنية تحت: 4468، 11226، 4975.
29. نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، لمحمد بن الطيب القادري، تحقيق: محمد حجي وأحمد توفيق، طبعة 1978م/1398هـ، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر.
30. -نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التنبكتي، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، الطبعة الأولى 1398هـ/1989م.

